

القناعة كنز لا يفنى	عنوان الخطبة
١/ فضل القناعة وأهميتها ٢/ حقيقة القناعة ٣/ قناعة النبي وأصحابه ٤/ من ثمار القناعة ٥/ من الأدوية النافعة لعلاج الطمع	عناصر الخطبة
مرشد الحيايالي	الشيخ
٩	عدد الصفحات

الْحُطْبَةُ الْأُولَى:

إن القناعة بما قسم الله - تعالى - والرضا بما قدره وقسمه، من النعم الجليلة التي يُنعم الله بها على أصحاب القلوب السليمة، والنفوس المطمئنة، وقد مدح الله المؤمنين السابقين بالقناعة والعفاف والرضا بالمقدور، فقال - سبحانه -: (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) [البقرة: ٢٧٣]، وقد دعا رسولنا الكريم بالفلاح والفوز لمن رزقه الله القناعة، فقال في الحديث



الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافاً، وقَّعه الله بما آتاه"، وأوصى أبا هريرة -رضي الله عنه- وصية جامعة ثمينة، فقال له: "كن ورِعاً تكن أعبد الناس، وكن قَبِعاً تكن أشكرَ الناس".

أيها المسلمون: إن القناعة تعني أن يرضى العبد بما قسمه الله وأعطاه من النعم؛ من صحة وعافية، ومال، ومسكن، وزوجة، وأن يرى أنه أفضل من جميع خلق الله، وأن يلهج لسانه دائماً بالذكر والشكر للمُنعم، فيقول: "الحمد لله الذي فضَّلني على كثير من عباده المؤمنين"، وأن لا يتسخط المقدور، ويزدري نعمة الله ومَنَّته عليه ويستصغرها، أو أن يرى أنه يستحق أكثر من ذلك؛ (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تَكْفُرُونَ الْيَتِيمَ) [الفجر: ١٥ - ١٧].

تأملوا معي -أيها المسلمون- سيرة المصطفى -عليه أفضل الصلاة والسلام-، وسيرة الصحابة من السابقين الأولين -رضوان الله عليهم-



كيف كان عيشهم كفافاً، ورزقهم بسيطاً!، ولم ينظروا إلى مَنْ حولهم من الأمم؛ كالروم، أو الفرس، وما أُغدق عليهم من النعم ومتاع الحياة؛ لأنهم يعلمون أن الغنى الحقيقي هو غنى النفس، وسعادة القلب، وسلامة الصدر، وراحة البال، وهدوء الخاطر، وقد سُئلت الصّديقة عن عيش رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فذكرت أنه يمرُّ الهلال والهلالات على بيتِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لا يوقدُ فيه نار، وقوئهم الأسودانِ التمر والماء، وكان رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم- ينام على حصير حتى يؤثر في جنبه، ويرى أنه في نعمة كبرى، ومنة عظيمة، تستوجب منه شكرها، والقيام بحقها، بل كان - صلى الله عليه وسلم- يقوم الليل حتى تنفطرَّ قدماه، ويقول: "أفلا أكون عبداً شكوراً؟!".

إن المسلمين اليوم مع ما هم فيه من النعم الجليلة، والعيش الرغيد، وألوان الطعام والشراب، وتنوع في المأكول والمشرب والملبس، وارتياحهم الأسواق العالية، والأبراج الملونة، والأسواق المزخرفة، والألعاب المسلية؛ هم عن شكر تلك النعم معرضون، وعليها ساخطون، ولربهم غير شاكرين، وتراهم يتطلعون إلى ما عند غيرهم من نعمة المال والمسكن والصحة والجمال،



وصدق رسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول فيما رواه عنه أنس -رضي الله عنه-: "لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب".

إن القناعة والرضا يمنح المسلم الصادق آثاراً حميدة، ومزايا جلييلة، يستغني بها عن حطام الدنيا بأسرها، ويتعوض بالإيمان عن زخرفها وزينتها؛ ومن تلك الآثار: سكينه النفس، وراحة البال، وطمأنينة القلب، وسلامة من الأمراض؛ كالقلق، والوسواس، والكآبة، والتسخط؛ يقول الله في محكم التنزيل: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً) [النحل: ٩٧].

والعبد المسلم شأنه أن يشكر في السراء، ويصبر في الضراء، ويحمد على القليل والكثير، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها" (رواه مسلم)، وما أجمل قول الشافعي -رحمه الله- إذ يقول:



رَأَيْتُ الْقَنَاةَ رَأَسَ الْغِنَى *** فَصِرْتُ بِأَذْيَالِهَا مُتْسِكُ
 فَلَا ذَا يِرَانِي عَلَى بَابِهِ *** وَلَا ذَا يِرَانِي بِهِ مِنْهُمِكَ
 فَصِرْتُ غَنِيًّا بِلَا دِرْهِمٍ *** أَمُرُّ عَلَى النَّاسِ شِبْهَ الْمَلِكِ

ومن تلك الثمار الجليلة: سلامة القلب من داء الحسد والحقد والأنانية وحب الذات، ومن راقب الناس مات همًّا وغمًّا، كما قيل، وتلك أمراض تجعل عيش صاحبها نكدًا، وحياته ندمًا، فلا تجد المسلم حاسدًا؛ لأنه يعلم أن الرزق مقسوم، والأجل محتوم؛ (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [هود: ٦]، بل تجده منشرح الصدر، قير العين، ولو كان لا يملك من الدنيا إلا بيتًا يستره، أو لقمة يسد بها جوعته، وهذه إن اقتزنت بالسعادة النفسية، والإيمان الصادق -لعمري- لهي أفضل من عيش الملوك والرؤساء، قال -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: "من أصبح آمنًا في سربه، معافي في بدنه، عنده قوت يومه؛ فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"، وجاء رجل يشتكي لعبدالله بن عمرو بن العاص الفاقة، فقال له: "عندك زوجة؟"، قال: نعم،



ص.ب 156528 الرياض 11788

+ 966 555 33 222 4

info@khutabaa.com

قال: "هل عندك مسكن؟"، قال: نعم، قال: "أنت غني من الأغنياء"، قال: وعندني خادم، قال: "أنت ملك من الملوك".

فاتقوا الله -عباد الله-، وراقبوه في السر والنجوى، واحمدوه على نعمه وآلائه، واشكروه على أفضاله ومننه، وتمسكوا بهدي نبيكم، واهتدوا بهديه، وتمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا -رحمكم الله- أن الله قسم الأرزاق والأقوات بين الخلائق، وأنه هو الرزاق، قال -تعالى-: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، فلا ينبغي للمسلم أن يذل نفسه، ويريق ماء وجهه، ويلح في السؤال، وله ما يكفيه ويُغنيه، وليقنع بما لديه؛ فإن العبد حر ما قنع، والحر عبد ما طمع، ومن يستعفَّ يُعَفِّه الله، ومن يستغنٍ يَغْنِه الله.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، وطوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا، وصلاة على الحبيب محمد -صلى الله عليه وسلم-



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788



+ 966 555 33 222 4



info@khutabaa.com

الخطبة الثانية:

إن من الأدوية النبوية النافعة لعلاج داء الطمع والجشع أن ينظر المسلم إلى مَنْ هو دونه في الصحة والجمال، والرزق والمال والمسكن، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "انظروا إلى مَنْ هو دونكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم؛ فهو أحرى أن لا تزددوا نعمة الله عليكم".

إن كنت -أيها المسلم الكريم- تملك بيتاً، فلا تتطلع إلى من يملك قصرًا، بل انظر إلى من يسكن في المقابر، فلا بيت يأويه، ولا سكن يضمه هو وأولاده، وإن كانت زوجتك لا تملك جمالاً خارقاً، فلا تنظر إلى الحمراء والصفراء وجمالهن الظاهر، بل انظر إلى ملايين العزاب لا يجدون من النفقة ما يُعينهم على تحصين أنفسهم، إن كنت تملك راتباً بسيطاً فلا تنظر إلى أصحاب الوظائف المرموقة، والمراتب العالية، بل انظر إلى ملايين المهجّرين، ومَنْ فقد وظيفته، إن كان لديك عاهة أو مشكلة صحية فلا تضجر، وتأمل حال من فقدَ صحته وجماله جملة، وتأمل حال الراقيدين على الأسرّة



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788



+ 966 555 33 222 4



info@khutabaa.com

في المستشفيات؛ منهم من فقد ساقه، أو أصيب بالشلل، أو ببعض الأمراض الخطيرة.

ومن الأدوية النافعة: أن تحمد الله أن عافاك مما ابتلى به غيرك، فتقول: "الحمد الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير من عباده"، وأن تدعو بهذا الدعاء صباحًا ومساءً، فتقول: "اللهم ما أصبَحَ بي من نعمة أو بأحدٍ من خلقك، فمنك وحدك، لا شريك لك؛ فلك الحمد، ولك الشكر".

اللهم أتم علينا النعمة، واكشف عنا البلوى، وجمّلنا بالتقوى، واجعلنا لنعمائك من الشاكرين، ولفضلك من الحامدين، ولكتابك من التّالين، واكشف ما أصاب إخواننا في بلاد المعمورة، والديار المنكوبة، من ضر وبلاء، وجهد وضراء، اللهم إنا نتوب إليك، ونتوسل بك، ونستعين بك، ونعبدك، فلا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا، ولا يرأف بنا، اللهم وفقنا لطاعتك، وطاعة من أمرتنا بطاعتهم، ولالة الأمر، وسفراء البلد، وخدام العباد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788



+ 966 555 33 222 4



info@khutabaa.com

اللهم صلِّ على عبدك ونبيك، خاتم الأنبياء، وسيد الأتقياء، وإمام الأنبياء،
صلاة دائمة باقية ما بقيت السموات والأرض، وعلى آله وصحبه إلى يوم
الدين.



khutabaa.com



ص.ب 156528 الرياض 11788



+ 966 555 33 222 4



info@khutabaa.com